

## الفيلسوف والجنرال: حديث بين هيربرت ماركوزا وموشيه ديان

في العام ١٩٣٢ انضم ماركوزا إلى «معهد الدراسات الاجتماعية» في فرانكفورت، والذي ترأسه ماكس هوركهايمر. وبعد صعود النازيين إلى سدة الحكم غادر ماركوزا ألمانيا، وعمل منذ العام ١٩٣٤ مع زملائه في مدرسة (جماعة) فرانكفورت في الولايات المتحدة الأميركية. خلال الحرب العالمية الثانية عمل ماركوزا باحثاً رفيعاً في «مكتب الخدمات الاستراتيجية» (OSS - جهاز التجسس الأميركي)، وقد عمل في هذا الإطار في التحقيق في الجرائم الاقتصادية في فترة الحكم النازي (الرايخ الثالث) وشارك في وضع خطة لتفكيك الدولة النازية المهزومة في ألمانيا. وخلافاً لزميليه في جماعة فرانكفورت الثقافية، ماكس هوركهايمر وثيودور أدورنو، لم يعد ماركوزا بعد انتهاء الحرب (العالمية الثانية) إلى جامعة فرانكفورت أو للعيش في ألمانيا،

هيربرت ماركوزا (١٨٩٨-١٩٧٩) فيلسوف وعالم اجتماع وباحث (في الأدب) من أصل يهودي- ألماني، وينتمي إلى مجموعة من المفكرين تدعى «مدرسة فرانكفورت». وقد انخرط ماركوزا في فترة شبابه في صفوف الحزب الاشتراكي - الديمقراطي وكان عضواً في مجلس الحزب في برلين لغاية سقوط انتفاضة «حلف سبارتاكوس» (في كانون الثاني ١٩١٩) وقتل زعماء الحزب: روزا لوكسمبورغ وكارل ليبكنخت. درس ماركوزا الأدب والفلسفة والاقتصاد في جامعة برايبورغ، وعمل مساعداً للفيلسوف الوجودي مارتن هايدغر.

(\*) أستاذ فلسفة العصر الحديث في قسم الفلسفة - جامعة تل أبيب.

عموماً فإن الآراء والمواقف التي عبر عنها ديان خلال اللقاء لم تنطو على أي جديد أو تجديد في المواقف المعروفة، ولكن ثمة أهمية لكون الحديث ورد (في البروتوكول) بشكل مباشر وليس كتقرير على لسان طرف ثانٍ أو كتفسير من جانب محللين. كذلك يتضح أن تصريح ماركوزا في مقاله حول النزاع، بأن أقواله تستند على «أحاديث مع أشخاص كثيرين في أنحاء مختلفة من البلاد، يهوداً وعرباً على حد سواء»، كان المقصود به أيضاً الحديث مع من يمكن اعتباره الرجل الأهم في السياسة الإسرائيلية في تلك الفترة.

ذاته في صحيفة «هآرتس» ترجمة للمقال تحت عنوان «آرائي حول النزاع الإسرائيلي-العربي: يتعين على إسرائيل الموافقة على قيام دولة فلسطينية».

في اليوم السابق لنشر مقال ماركوزا في الصحف الإسرائيلية (في ٢٠ كانون الثاني ١٩٧١) عقد لقاء بينه وبين صحافيين وأشخاص آخرين في «معهد فان لير» في القدس، سئل فيه ماركوزا عن مواقفه فيما يتعلق بالنزاع العربي-الإسرائيلي. وقد نشرت أصداء وانطباعات حول هذا اللقاء في صحيفة «هآرتس»، في نطاق تقرير كتبه الصحافي عوزي بنزيمان، ونشر تحت عنوان «على إسرائيل أن تبادر بخطوات تساهم في دفع التسوية» وتضمن التقرير مقابلة قصيرة مع ماركوزا.

في مستهل مقاله، صرح ماركوزا أن وجهة نظره حول النزاع العربي-الإسرائيلي تستند من ضمن ما تستند على «أحاديث مع أشخاص كثيرين في أنحاء مختلفة من البلاد، يهوداً وعرباً على حد سواء». وقد أورد بيتر-أرفين يانسن في تقديم للترجمة الألمانية لمقال ماركوزا أسماء بعض الشخصيات التي التقى بها (ماركوزا) أثناء زيارته لإسرائيل، ومن ضمن هؤلاء عضو الكنيست د. موشيه سنيه، الكاتب عاموس عوز، واليعازار باري (رجل حزب «مبام») وآخرون. كذلك زار ماركوزا مدينة نابلس أيضاً والتقى فيها الكاتبة والصحافية الفلسطينية ريموندا حوا الطويل (زارها في منزلها)، ورئيس بلدية نابلس حمدي كنعان، وشخصيات فلسطينية أخرى.

وذكرت وكالة الأنباء الأميركية-اليهودية (Jewish Telegraphic Agency, JTA) من جهتها في تقرير نشر في ٣ كانون الثاني ١٩٧٢، إن ماركوزا التقى أثناء زيارته لإسرائيل

وقد عمل منذ أوائل الخمسينيات أستاذاً (بروفسور) للفلسفة السياسية في جامعات كولومبيا وهارفرد وفرنداييس وكاليفورنيا، في الولايات المتحدة، ومن أشهر مؤلفات ماركوزا:

- الرغبة والحضارة (١٩٥٥)، وقد حلل ماركوزا في هذا الكتاب، من وجهة نظر ماركسية نظرية فرويد الغرائزية، محاولاً تفسيرها على أساس تاريخي-تطوري؛
- الماركسية السوفييتية (١٩٥٨) وحلل ماركوزا في هذا الكتاب بصورة انتقادية النظام الاجتماعي في الاتحاد السوفييتي، منتقداً التطبيق السوفييتي للماركسية التي كان (ماركوزا) مخلصاً لمبادئها.
- «الإنسان ذو البعد الواحد» ١٩٦٤، ويناقد ماركوزا في هذا الكتاب (الذي يعتبر من أهم أعماله) بصورة انتقادية المجتمعات الغربية في فترة الرأسمالية «المتأخرة»، وقمع النضال التحرري، وقد نال ماركوزا في أعقاب هذا الكتاب شهرة عالمية كنصير للحركات الطلابية واليسار الجديد في الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية.

## زيارة إسرائيل

مكث هربت ماركوزا في إسرائيل مدة أسبوعين تقريباً، بين ٢١ كانون الأول ١٩٧١ و الثالث من كانون الثاني ١٩٧٢. وكإجمال فكري-سياسي لزيارته، كتب ماركوزا مقالاً نشر في صحيفة «جيروزاليم بوست» في الثاني من كانون الثاني ١٩٧٢ تحت عنوان «إسرائيل قوية كفاية لتقديم تنازلات» (Israel is strong Enough to concede) كما نشرت في الوقت



هربرت ماركوزا.

والبروفسور يهودا ألكناه، والصحافي في جريدة «هآرتس» نفتالي لاو- لفي، الذي كان من المقربين لديان (أشغل فيما بعد منصب قنصل إسرائيل في نيويورك). ووفقاً لما ورد في البروتوكول، فقد تولى ديان الجزء الأكبر من الحديث الذي دار أثناء اللقاء، حيث اكتفى ماركوزا بطرح أسئلة وملاحظات مقتضبة، رد ديان عليها بإيجاز. وعموماً فإن الآراء والمواقف التي عبر عنها ديان خلال اللقاء لم تنطو على أي جديد أو تجديد في المواقف المعروفة، ولكن ثمة أهمية لكون الحديث ورد (في البروتوكول) بشكل مباشر وليس كتقرير على لسان طرف ثانٍ أو كتفسير من جانب محللين. كذلك يتضح أن تصريح ماركوزا في مقاله حول النزاع، بأن أقواله تستند على «أحاديث مع أشخاص كثيرين في أنحاء مختلفة من البلاد، يهوداً وعرباً على حد سواء»، كان المقصود به أيضاً الحديث مع من يمكن اعتباره الرجل الأهم في السياسة الإسرائيلية في تلك الفترة.

### محور الحديث الذي لم ينشر

لأسباب ما زلت أجهلها، لم ينشر في حينه— بل وحتى الآن في الواقع— فحوى اللقاء (البروتوكول) بين ديان وماركوزا. ولم يتطرق ديان في (كتاب) سيرته الذاتية إلى لقائه مع ماركوزا، كما لم يرد ذكر هذا اللقاء، حسب ما أعلم، في أي

نائب رئيس الحكومة ووزير المعارف والثقافة، يغال ألون، ووزير الدفاع موشيه ديان. ولكن، وفقاً لمعرفتي، فإن أحداً من الذين كتبوا عن زيارة ماركوزا إلى إسرائيل، لم يذكر ولم يناقش حقيقة أن ماركوزا التقى بالفعل مع وزير الدفاع موشيه ديان، الذي كان في ذلك الوقت أهم شخصية سياسية في إسرائيل (وفي تقديري أهم من رئيس الحكومة). واستمع منه (خلال حديثهما) عن مواقف الحكومة الإسرائيلية. ويشار إلى أن لقاء ماركوزا- ديان عقد في ٢٩ كانون الأول ١٩٧٨، عشية اللقاء مع الصحافيين.

### بروتوكول الاجتماع

قبل أكثر من عشرين عاماً، حدثني البروفسور يهودا ألكناه، عن اللقاء بين ماركوزا وديان، وكان ألكناه يشغل وقتئذٍ منصب رئيس معهد التاريخ والفلسفة للعلوم والأفكار (معهد كوهين) في جامعة تل أبيب، ورئيساً لـ «معهد فان لير» في القدس. وكان معهد «فان لير» هو الذي وجه، قبل حوالي ٤٠ عاماً، الدعوة لماركوزا لزيارة إسرائيل من أجل إلقاء محاضرات أكاديمية (والتي أطلق عليها فيما بعد The Jerusalem lectures ودارت حول العلاقة بين الفلسفة الجمالية والسياسة). ونزولاً عند طلب الضيف (ماركوزا) تمكن البروفسور ألكناه من تنظيم لقاء بينه وبين وزير الدفاع ديان، وقد عقد اللقاء بحضور كاتبة اختزال سجلت ما دار من حديث بين ماركوزا وديان.

مؤخراً استجاب المسؤولون في أرشيف الجيش الإسرائيلي ووزارة الدفاع لطلبي الحصول على نسخة من بروتوكول الحديث بين ديان وماركوزا (ثلاث صفحات بالعبرية مطبوعة على آلة كاتبة). ووفقاً لما كتب في مستهل الوثيقة، فقد كان من المقرر إرفاق محضر اللقاء ضمن مذكرات موشيه ديان، وقد خلا المحضر من أقوال المجاملات سواء في مستهل الحديث أو نهايته، وعلى ما يبدو فقد سجلت فيه فقط الأقوال التي بدت لديان ومساعديه مهمة للمذكرات، والتي شكلت فيما بعد أساساً لكتابة السيرة الذاتية لوزير الدفاع الإسرائيلي. وبحسب ما سجل في البروتوكول، فقد حضر اللقاء، إلى جانب ديان وماركوزا وكاتبة الاختزال، ثلاثة أشخاص آخرين وهم: العميد شلومو غازيت، رئيس شعبة الحكم العسكري في هيئة الأركان العامة (والذي رُقي لاحقاً إلى رتبة لواء وعين رئيساً لقسم الاستخبارات العسكرية)،

لأسباب ما زلت أجهلها، لم ينشر في حينه- بل وحتى الآن في الواقع- فحوى اللقاء (البروتوكول) بين ديان وماركوزا. ولم يتطرق ديان في (كتاب) سيرته الذاتية إلى لقائه مع ماركوزا، كما لم يرد ذكر هذا اللقاء، حسب ما أعلم، في أي سيرة حياة كتبت عن ماركوزا، أو في أي موضع من مؤلفاته ومقالاته التي جرى التطرق فيها إلى النزاع الإسرائيلي- العربي.

الدعوات خلال جولتي الحالية [...] ربما أعود إلى المنطقة وأقوم بزيارة للعاصمتين العربيتين، إذا ما بقيت الدعوات قائمة»، من الصعب الافتراض إذن، أن ماركوزا أخذ على عاتقه القيام بمهمة وساطة مع قادة عرب، فمثل هذه المهمة لم يتمكن من القيام بها في ذلك الوقت ناحوم غولدمان، رئيس الكونغرس اليهودي العالمي، وفشل فيها مرتين الدبلوماسي السويدي غونار يارينغ، مبعوث الأمم المتحدة للشرق الأوسط، وذلك بسبب المواقف المتصلبة التي تبنتها إسرائيل. وقال ماركوزا لبزيمان في المقابلة التي نشرتها صحيفة «هآرتس» بأنه «فيلسوف وليس سياسياً» وأضاف «لا أشعر أنني مؤهل لبلورة خطة سياسية، مع أنني لست مسروراً إزاء الطريقة التي يدير بها السياسيون المهنيون الأمور».

عموماً، ليس لدي سبب للافتراض بأنه كانت هناك نية لتعيين ماركوزا موفداً سرياً لديان في مهمة وساطة مع قادة سياسيين عرب .

ربما لم يكن اللقاء مهماً في نظر ديان وماركوزا على حدّ سواء. ولكن طالما نشرت أسماء الشخصيات التي التقاها ماركوزا أثناء زيارته للبلاد - موشيه سنيه، عاموس عوز، ريموندا الطويل وآخرون - فقد كان من المتوقع تلقائياً أن يذكر أيضاً اسم موشيه ديان، الذي كان قطعاً شخصية ليست دونهم أهمية. ولعل الرجلين كليهما، ماركوزا وديان، تخوفاً من الإساءة إلى صورتها العامة فيما لو نشر على الملأ فحوى اللقاء. فقد كان من الممكن أن يخشى ماركوزا رد فعل محافل اليسار على مبادرتة إلى اللقاء مع بطل الاحتلال

سيرة حياة كتبت عن ماركوزا، أو في أي موضع من مؤلفاته ومقالاته التي جرى التطرق فيها إلى النزاع الإسرائيلي- العربي. ففي الكتاب الضخم الذي صدر مؤخراً عن هيربرت ماركوزا وعن أنماط التفكير التي سادت في حقبة الحرب الباردة (Kriegen und Gelehrte: Herbert Marcuse und die Denksysteme im Kalten Krieg) من تأليف تيم ويلر، لم يرد ذكر اللقاء، أو أي نقاش حقيقي لمواقف الفيلسوف فيما يتعلق بالنزاع في الشرق الأوسط، على الرغم من أن الحدود بين إسرائيل ومصر وبين إسرائيل وسورية كانت طوال عدة عقود حدوداً بين مناطق نفوذ القوتين الأعظم، الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي. وقد بدا تدخل القوى العظمى في النزاع العربي - الإسرائيلي، من وجهة نظر ماركوزا، عائناً أمام تحقيق السلام، غير أنه ما من دليل أو إشارة في بروتوكول اللقاء إلى أن هذا الموضوع نوقش بشكل حقيقي في الحديث الذي دار بين ماركوزا وموشيه ديان.

فهل اعتبر مضمون اللقاء بين الفيلسوف ووزير الدفاع الإسرائيلي بمثابة معلومات سرية؟! أم أن ماركوزا، الذي كان في الماضي رجل «المكتب الاميركي للخدمات الاستراتيجية» (OSS) أخذ على عاتقه نقل رسالة إلى شخصية عربية رفيعة بشأن لقاء ممكن بين هذه الشخصية وبين أحد المسؤولين الإسرائيليين (مثل الرسالة التي طلب ديان نقلها بواسطة المستشرق بيرنارد لويس، ولذلك أبقى فحوى اللقاء طي السرية والكتمان؟! وكان عوزي بزيمان قد سأل ماركوزا أثناء المقابلة معه حول ما إذا كان قد زار القاهرة، فأجاب ماركوزا قائلًا: «دعيت لزيارة القاهرة وبيروت. لا أستطيع الاستجابة لهذه

لقد كان التناقض جلياً في الموقف الرسمي لإسرائيل، والتي أعلنت من جهة عن استعدادها للتفاوض «دون شروط مسبقة»، وأكدت من جهة أخرى بأنها لن تنسحب إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧. وحين واصل ماركوزا الإلحاح بالسؤال في هذا الموضوع، رد عليه ديان قائلاً إن المشكلة مركبة أكثر من كونها مسألة حدود، وأن الحل الممكن على المدى البعيد يتطلب تغييراً جذرياً في صورة إسرائيل في مناهج التعليم العربية، وتطبيعاً للعلاقات التجارية بين إسرائيل والدول العربية وإقامة علاقات سياحية وغير ذلك.

في ١٩٧٢/١/٢). وكان الرد المصري على مبادرة يارينغ قد تضمن طلباً بانسحاب القوات الإسرائيلية من كامل أراضي شبه جزيرة سيناء. وقد طرح ماركوزا أمام ديان السؤال فيما يتعلق بتحويل كامل صحراء سيناء إلى منطقة منزوعة من السلاح، فكان جواب ديان قاطعاً بقوله «إذا كان المقصود انسحاباً من كامل سيناء، فإن جوابي مرة أخرى: لا». هذا الموقف الذي عبر عنه ديان - رفض الالتزام مبدئياً بانسحاب كامل - كان في حقيقة الأمر الموقف الرسمي لدولة إسرائيل، كما ورد في بيان رئيسة الحكومة أمام الكنيست في الرابع من آب ١٩٧٠، وأعيد التأكيد عليه في الرد الرسمي على مبادرة يارينغ، وجاء فيه «إسرائيل [...] مستعدة لإجراء مفاوضات دون شروط مسبقة، لكن موقفها، كما ورد في بياناتها السابقة: لا عودة إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧».

لقد كان التناقض جلياً في الموقف الرسمي لإسرائيل، والتي أعلنت من جهة عن استعدادها للتفاوض «دون شروط مسبقة»، وأكدت من جهة أخرى بأنها لن تنسحب إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧. وحين واصل ماركوزا الإلحاح بالسؤال في هذا الموضوع، رد عليه ديان قائلاً إن المشكلة مركبة أكثر من كونها مسألة حدود، وأن الحل الممكن على المدى البعيد يتطلب تغييراً جذرياً في صورة إسرائيل في مناهج التعليم العربية، وتطبيعاً للعلاقات التجارية بين إسرائيل والدول العربية وإقامة علاقات سياحية وغير ذلك. وأكد ديان على أنه طالما كان لدى العرب أمل في القضاء على دولة إسرائيل، فإنهم سيرفضون قبول المطلبين الأساسيين:

الإسرائيلي في (حرب) العام ١٩٦٧، والجنرال الذي رافق في العام ١٩٦٦ القوات الأميركية في فيتنام (في مهمة رسمية كمراسل صحافي)، والشخصية الأكثر تماثلاً مع سياسة القوة العسكرية التي انتهجتها إسرائيل، والتي اعتبرت في نظر أنصار اليسار في العالم دولة تابعة للولايات المتحدة في الشرق الأوسط (وعلياً أن لا ننسى أن ماركوزا أتهم في الماضي بأنه كان عميلاً لوكالة المخابرات المركزية الأميركية). أما ديان، فربما خشي من أن ينشر علناً أنه التقى ممثلاً لليسار المناهض لإسرائيل «فيلسوف اليسار الجديد»، كما أطلق عليه في ذلك الحين. ولكن يبدو من خلال قراءة محضر اللقاء، أن أياً منهما لم يكن لديه سبب لأن يخجل من الأقوال التي أدلى بها، وبالتالي ما من سبب يدعوها للتخوف من نشر فحوى الحديث بينهما.

## عن الحوار الممكن بين إسرائيل ومصر!

حظرت الحكومة الإسرائيلية برئاسة غولدا مئير، على ناحوم غولدمان الذهاب لمقابلة الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي دعا غولدمان لزيارة القاهرة في نيسان عام ١٩٧٠. ونسب إلى غولدا مئير قولها وقتئذٍ: «إذا توصل غولدمان وناصر إلى سلام، فسيكون هذا السلام بين غولدمان وناصر». وقد عبر ماركوزا عن استيائه في هذا السياق مما بدا له كموقف إسرائيلي رافض للسلام، معرباً عن اعتقاده أن «رد مصر على مبادرة يارينغ (بتاريخ ١٥ شباط ١٩٧١) يوفر أساساً معقولاً للشروع فوراً بإجراء مفاوضات» (انظر مقال ماركوزا في صحيفة «هآرتس»

كرر ماركوزا مراراً وتكراراً وجود دولة إسرائيل وحققها في الدفاع عن نفسها، ولكنه وخلافاً للأيديولوجيا الصهيونية، ادعى أن قيام دولة إسرائيل ألحق ظلماً بالسكان العرب المحليين. وجاء على لسان ماركوزا قوله في برلين، في تموز ١٩٦٧، بعد شهر تقريباً من حرب حزيران إن «قيام دولة إسرائيل كدولة ذات سيادة يمكن اعتباره عدم عدالة، حيث أن الدولة التي أقيمت على أرض أجنبية بموجب اتفاق دولي، أقيمت دون أن تؤخذ في الحسبان بصورة حقيقية مشاكل السكان المحليين والمصير الذي ألوا إليه» (أنظر «جدل حول فيتنام» في الكتابة «نهاية اليوتوبيا» ص ١٧٥).

شرم الشيخ»، وذلك كجواب على الرد الإيجابي من جانب أنور السادات على مبادرة يارينغ (في شباط ١٩٧١). وكان ديان قد أدلى بأقوال مشابهة، وإن بلهجة أقل حدة، خلال لقائه مع ماركوزا أيضاً: «لن ننسحب من شرم الشيخ. ولكن إذا ما أتوا وقالوا (تعالوا بنا نتوصل الآن إلى اتفاق مؤقت حول تواجدكم في شرم الشيخ، وسنعود لبحث الأمر فيما بعد) عندئذٍ يمكن التحدث حول ذلك».

### حول الدولة الفلسطينية

كرر ماركوزا مراراً وتكراراً وجود دولة إسرائيل وحققها في الدفاع عن نفسها، ولكنه وخلافاً للأيديولوجيا الصهيونية، ادعى أن قيام دولة إسرائيل ألحق ظلماً بالسكان العرب المحليين. وجاء على لسان ماركوزا قوله في برلين، في تموز ١٩٦٧، بعد شهر تقريباً من حرب حزيران إن «قيام دولة إسرائيل كدولة ذات سيادة يمكن اعتباره عدم عدالة، حيث أن الدولة التي أقيمت على أرض أجنبية بموجب اتفاق دولي، أقيمت دون أن تؤخذ في الحسبان بصورة حقيقية مشاكل السكان المحليين والمصير الذي ألوا إليه» (أنظر «جدل حول فيتنام» في الكتابة «نهاية اليوتوبيا» ص ١٧٥). خلال الحديث مع ديان، فوجئ ماركوزا حين سمع اعترافاً صريحاً من جانب وزير الدفاع الإسرائيلي بأن دولة إسرائيل أقيمت بالفعل على أرض عربية: «أخذنا منهم بلداً عربياً وحولناه إلى دولة يهودية». وقد علق ماركوزا على ذلك بقوله لديان: «هل تقر بذلك؟! أنت الإسرائيلي الأول الذي يقر بذلك من بين الذين التقيت بهم هنا، في البلاد».

بقاء دولة إسرائيل والقدس يهوديتان، وعدم عودة المهجرين (اللاجئين الفلسطينيين) إلى إسرائيل.

إزاء هذا الادعاء، وادعاءات مشابهة استمع إليها أثناء زيارته لإسرائيل، رد ماركوزا بعد بضعة أيام في مقاله الذي نشر في صحيفتي «جيروزاليم بوست» و «هآرتس» بقوله: طلبت مصر في ردها (على مبادرة يارينغ) بأن تتعهد إسرائيل، أولاً وقبل كل شيء، بسحب قواتها المسلحة من سيناء وقطاع غزة. إزاء الادعاء بأن ذلك سيجعل إسرائيل عرضة لانقراض عربي مدمر، يمكن إيجاد حلّ عن طريق إقامة منطقة منزوعة تتولى حمايتها قوة محايدة تابعة للأمم المتحدة. إن المخاطرة المترتبة على ذلك لا تبدو لي أكبر من المخاطرة الدائمة بنشوب حرب في الظروف القائمة. ويمكن للدولة الأقوى أن تجيز لنفسها تقديم تنازل أكبر، وإسرائيل ما زالت الطرف الأقوى».

من الواضح إذن، أن الادعاءات التي أثارها ديان، خلال الحديث مع ماركوزا، ضد المناطق المنزوعة وتواجد قوات للأمم المتحدة للفصل بين الدول، لم تقنع ماركوزا على الإطلاق. وي طرح حالياً على بساط النقاش العام في إسرائيل، الاتهام بشأن «الإخفاق السياسي» للزعماء الإسرائيليين في الفترة بين نهاية حرب حزيران ١٩٦٧، وبين حرب «يوم الغفران» في تشرين الأول ١٩٧٣، وهو إخفاق ناتج عن السياسة الإسرائيلية الراضية للسلام، والتي أدت، هكذا يبدو، إلى اندلاع حرب «يوم الغفران» الدموية. في تلك الفترة ذاتها أطلق ديان مقولته الشهيرة «شرم الشيخ بدون سلام أفضل من سلام بدون

## من أرتشيف الجيش الإسرائيلي والمؤسسة الأمنية: بروتوكول الحديث بين الفيلسوف هربرت ماركوزا وزير الدفاع موشيه ديان في ٩٢ كان الأول ١٧٩١

للمفكرة- لقاء مع هربرت ماركوزا (بناء على طلبه) في مكتب وزير الدفاع. ١٩٧١/١٢/٢٩، الساعة: ٨ مساءً.

الحضور: وزير الدفاع، شلومو غازيت، يهودا ألكناه من معهد فان لير، ونفتالي لفي. (بدأ التسجيل بتأخير بعض الشيء، نظراً لأن ماركوزا بكر في الوصول)

**وزير الدفاع:** تعال بنا نرى ما الذي حدث في العام ١٩٥٧، كان لدينا جدل مع [يتوجب القول: حول] ما إذا كان يجب، وقتئذٍ، إخلاء مضائق شلومو (تيران). كانت وجهة نظري في ذلك الوقت تفضيل المضائق على قوة طوارئ تابعة للأمم المتحدة، غير أن مصر تبنت موقفاً معاكساً، حيث ادعى عبد الناصر بأن الاحتفاظ بقوة مصرية في شرم الشيخ، لا تستطيع إطلاق النار على قطع ملاحه بحرية إسرائيلية، هو أمر فوق طاقته (لا يمكن له قبوله).

لقد التقيت مع برنارد لويس وسألته: هل تستطيع ترتيب لقاء سري بيننا وبين المصريين، على أي مستوى مريح لهم .. كنت أود الذهاب لأقول لهم : تعالوا بنا نتفحص إذا ما كان لدينا أي أساس للبحث عن أساس لتسوية أو تفاهم للشروع في مفاوضات؟! وقد أجاب لويس بالقول إنه لا يرى أن هناك فرصة لموافقة مصرية على عقد مثل هذا اللقاء. مصر مستعدة للقبول بشيء واحد فقط: أن نبلغها مسبقاً، خطياً، ولعنوان (طرف) ثالث، بأننا موافقون على الانسحاب إلى خطوط الرابع من حزيران، وبعدها يمكن على هذا الأساس مواصلة الحوار.

**ماركوزا:** إذا كان ذلك هو الشرط الوحيد الذي يكفل إذابة الجليد، فلماذا لا تكتبون؟! فأنتم في موقف قوة حالياً؟

**وزير الدفاع:** أن نكتب ذلك ونحن غير مستعدين لانسحاب تام؟! لن نخدعهم بأي حال من الأحوال، فمن يتعهد بذلك ينبغي أن يكون مستعداً أيضاً لتنفيذ تعهده.

**ماركوزا:** إذن اكتبوا أنكم مستعدون لانسحاب كبير، وليس انسحاباً تاماً وكاملاً، وحول حجم الانسحاب أنتم مستعدون للتفاوض.

**وزير الدفاع:** إذا نجحت أنت في إقناعهم بالموافقة على هذه

الصيغة، فسوف أقبل بها. وأمل في أن أتمكن من إقناع حكومتي أيضاً بذلك.

**ماركوزا:** هل أنت مستعد للقبول بتحويل كامل المنطقة إلى منطقة منزوعة من الجيوش (حتى خط الحدود الدولية)؟

**وزير الدفاع:** إذا كان الحديث يدور على انسحاب جميع [يتوجب القول: من كامل] سيناء، فإن جوابي مرة أخرى: كلا. وبالمناسبة، إذا كنت تتحدث عن نزاع عسكري فما الذي يعنيه ذلك؟ لا أعرف ما هي قيمة هذا الأمر؟ من الذي سيتواجد في المنطقة المنزوعة ويتولى مراقبتها: قوة دولية؟! لقد شاهدت ذات مرة ما الذي يمكن لمثل هذه القوة القيام به .. هل تذكر ما حدث في ٦٧؟! ألم تر ما يفعله الفيتو السوفياتي في مجلس الأمن الدولي فيما يتعلق بالهند وباكستان؟! ثم ما هو الشيء السيء الذي فعلناه نحن في حزيران ٦٧؟ جاء ناصر متحمساً وقام بطرد قوة الأمم المتحدة، واستولى على المضائق ثم أغلقها: ما هو الذنب الذي اقترفناه؟!!

**ماركوزا:** لا أعتقد أنكم اقترفتُم أي ذنب، وأنا مؤمن بأن حرب حزيران ٦٧ كانت حرباً دفاعية، من ناحيتكم.

**وزير الدفاع:** لنعود مرة أخرى لموضوع القوة الدولية. ما الذي ستفعله قوة كهذه إذا ما قال لها السادات: ارحلي؟! هل يمكن لها أن ترفض المغادرة؟! هل ستطلق النار على المصريين بغية طردهم؟ إذا ما تصرفت القوة الدولية بهذا الشكل، فإن إقامة جيش احتلال تؤدي إلى تقليص السيادة المصرية في منطقة تعود للمصريين. هل يمكنك أن تؤيد حرباً من هذا القبيل يشنها جيش تابع للأمم المتحدة ضد إرادة الدولة المضيفة؟!!

**ماركوزا:** أنا مع عدم مغادرتها (أي قوة الأمم المتحدة) في مثل هذه الحالة، إلا إذا تم التوصل إلى اتفاق جديد.

**شلومو:** [غازيت]: وكيف يمكن التوصل إلى اتفاق جديد؟ يعرض على مجلس الأمن والجمعية العامة (للأمم المتحدة) ويقررون بأغلبية الأصوات، أو يفرض مجدداً فيتو سوفيتي أو صيني بكيفية ما ...

**ماركوزا:** لنفترض انكم ستسحبون إلى الخط (الحدود) القديم في جميع المناطق. هل ترى إمكانية لنشوء خطر مجدداً بتصفية إسرائيل مادياً؟!!

**وزير الدفاع:** المسألة مركبة أكثر، وهي ليست مجرد مسألة

عمق وحدود فقط. أعتقد أن الحل هو باتجاه «فترة تهدئة» طويلة. حتى لو وقع غدا اتفاق بيننا وبين العرب، فإنه لن يؤدي إلى حل أو تسوية، وإنما سيوفر في أحس الأحوال، ربما، أرضية مريحة أكثر لعملية مصالحة. من الضروري أن نتوقف المدارس لديهم عن الحز على الكراهية والضعيفة، وأن تنشأ علاقات تعايش وتجارة مشتركة وسياحة وما إلى ذلك، حينئذٍ وبعد عشرين أو ثلاثين عاماً، ربما ستجد الأزمات حلاً لها. إجمالاً أنا متفائل: أولاً، لدينا تجربة جيدة جداً مع عرب إسرائيل. فقد فرض عليهم أيضاً كل شيء قسراً. المواطنة الإسرائيلية، التعايش، ولكن بعد ٢٣ عاماً تم استيعابهم وتهويدهم وتحولوا إلى إسرائيليين. لا يوجد اندماج، ولكن مع ذلك فإن الأمر ناجح. لا يوجد هنا عداً من طراز (العداء في) قبرص. ثانياً، لدينا تجربة إيجابية مشابهة مع عرب المناطق. لم تكن لدينا قط علاقات من هذا القبيل.

المفارقة أننا قادرون على التعايش جيداً مع بعضنا البعض، لكننا غير قادرين على التوصل إلى صيغة رسمية منقح عليها. وفي الواقع فإن هذا الوضع أفضل، من وجهة نظري، من وجود اتفاق حول صيغة (حل) رسمية دون قدرة على التعايش معاً بصورة فعلية (ذلك لأن هذه الصيغة سرعان ما ستتهار تلقائياً).

(يشير إلى خريطة الشرق الأوسط). أنت لست رجلاً عسكرياً، مع ذلك يمكن رؤية الأمر بوضوح. لقد جئنا و: -أفصلنا شطري العالم العربي عن بعضهما. ب- أخذنا منهم بلاداً عربياً وحولناه إلى دولة يهودية ...

**ماركوزا:** هل تقر بذلك؟! أنت الإسرائيلي الأول الذي يقر بذلك من بين الذين التقيت بهم هنا في البلاد ...

**وزير الدفاع:** أقر بالتأكيد ... فهذه حقيقة.

**ماركوزا:** مع ذلك فقد أوجدتم في المنطقة تعصبا قومياً عربياً؟

**وزير الدفاع:** بالتأكيد لا ... فقد حدث كل ذلك وكان سيحدث تلقائياً. ج- أخذنا البلد، لكننا لم نقم بإبادة سكانه، وهم يريدون العودة. د- وأخيراً، أخذنا القدس.

**شلومو:** و ه- لقد أهنأهم بهزائمهم.

**وزير الدفاع:** يكفيني أيضاً نقاطي الأربع... واستنتاجاتي؟

يتعين عليهم التسليم بـ أ- أن هذا البلد سيبقى يهودياً. ب- عدم عودة المهجرين (النازحين) إلى إسرائيل ج- بقاء القدس يهودية.

**مع ذلك:** أنا أفهم العرب جيداً، فهم غير مستعدين للتسليم بكل ذلك طالما كانوا يعتقدون ويأملون بأن لديهم فرصة للقضاء علينا إذا ما عدنا للحدود السابقة. لا يمكنهم استيعاب أو تقبل أنهم لن يتمكنوا أبداً من مباعتنا في بلد عرضه ١٥ كم وفي كنيست (البرلمان الإسرائيلي) يقع مقره على بعد ٥٠٠ متر من الحدود. المشكلة لا تكمن في حقيقة الإهانة التي لحقت بهم، وإنما في توقعاتهم مما يمكن لهم تحقيقه بعد انسحابنا.

**ماركوزا:** أولاً يعتقدون حالياً بأنهم قادرون على إبادةكم؟! **وزير الدفاع:** أعتقد، كلا.

**شلومو:** في الخطوط (الحدود) الحالية، كلا. ولكن إذا عدنا إلى خطوط ٦٧، فإن الإجابة: نعم.

**وزير الدفاع:** فيما يتعلق بالسادات لست واثقاً إذا ما كان يستطيع القضاء علينا حتى في خطوط ٦٧.

**ماركوزا:** إذا كان الأمر كذلك أو ليست هذه فرصة مناسبة لمبادرة سلام من طرفكم؟!

**وزير الدفاع:** مبادرة مبدئية- أجل. السؤال هو فقط «ماذا».

لا نستطيع اقتراح أو عرض شيء لسنا مستعدين له وإذا كان أقل من انسحاب كامل، فما الذي سنتباحث حوله عندئذٍ في المفاوضات؟! حول مستقبل الفلسطينيين، حول دخولنا إلى جبل الهيكل (الحرم القدسي)؟! كذلك فإنني لا أؤمن بحل على أساس «تعديلات حدودية طفيفة». التعديل الحدودي الذي أتوقعه سيكون انسحاباً جاداً في سيناء، ولكن ذلك أيضاً ليس تعديلاً حدودياً طفيفاً يشمل بضعة كيلومترات.

ولكن لنفترض أننا سنعرض ذلك على المصريين: ماذا بالنسبة لـ «يهودا والسامرة»؟! هل سيسمح لنا الحل بالاستيطان هناك؟! نحن نفعل ذلك حالياً.

أنا لا أريد طرد أحد أو سلبه. ولكن لماذا لا يجوز لنا الاستيطان في كل ما كان في الماضي أرض إسرائيل؟!

فيما يتعلق بدولة فلسطينية في الضفة (الغربية) فقط: لا أعتقد أن ما يتردد حول ذلك من حديث، جاد. لم أسمع أي اقتراح جاد في هذا الخصوص، فتوجههم يقوم على أ- يتعين



- عليكم (على الإسرائيليين) الانسحاب من المنطقة ب- بعد ذلك سنقرر نحن وحدنا حول مستقبلنا. بالنسبة لنا الأمر أشبه بشراء قطة في كيس. حول ماذا سيقرون؟! وهل الأمر سيان حقاً بالنسبة لإسرائيل، إذا ما كانوا مستقلين أو جزءاً من الأردن أو ربما سورية؟!

ماركوزا: أنت تفضل المخاطرة بناصر جديد حول الانسحاب؟!

وزير الدفاع: ناصر جديد ليس مرتبطاً بانسحابنا. فتغيير النظام والزعامة يحدث لديهم تلقائياً.

- ولكنني أصر على أن نختبرهم فيما إذا كانوا صادقين في أقوالهم وتصريحاتهم حول السلام، أم أن تصريحاتهم ما هي إلا خدعة ومناورة.

ماركوزا: كيف يمكن اختبار ذلك؟

وزير الدفاع: خذ مثلاً موضوع تسوية القناة (قناة السويس). هناك إمكانية لتوجه نحو الانسحاب من جانبنا مقابل تطبيع في القناة، وهناك إمكانية بأن يكون توجههم دفعنا للانسحاب من أجل الحصول على موطنٍ قدم عسكرياً أفضل شرقي القناة.

- في المفاوضات يمكن تفحص فوارق اللقاء [يتوجب القول: التوجه] وتحديد حلٍّ ومراحل من النوع الذي يتيح كشف مختلف النوايا.

\* \* \*

وبذلك انتهى الحديث بين الفيلسوف (ماركوزا) والسياسي (ديان)، أو على الأقل، هنا توقف تسجيل الأقوال في البروتوكول.

لقد تقدم التاريخ في دروبه الساخرة، المساوية والفظيعة، والتي لم تكن غريبة بالنسبة لفيلسوف مثل ماركوزا، المخلص لنظرية هيغل، والمتبحر فيها. فالخاوف التي عبر عنها في حديثه مع ديان، تحققت: إذ إن أنور السادات، وخلافاً لتوقعات ديان، لم يفضل تحقيق إنجاز محدود، وإنما اختار طريق الحرب. ففي السادس من تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٧٣ اندلعت حرب «يوم الغفران» التي كلفت مصر وسورية وإسرائيل ودولا أخرى في المنطقة، عشرات آلاف الضحايا (أكثر من ٢٢ ألف قتيل وما يزيد عن ٤٢ ألف جريح). وقد اندلعت الحرب بمبادرة أنور السادات وحافظ الأسد، في ضوء رفض إسرائيل الاستجابة، ولو بصورة مبدئية، لمطلب الانسحاب من المناطق التي احتلت في العام ١٩٦٧، وعلى أرضية فشل غونار يارينغ في مهمته في الشرق الأوسط.

- هل يمكن أن ينشأ تغيير في الميزان العسكري في غير صالحنا؟ نعم، هذا ممكن. ولكن التغيير ممكن حتى إذا انسحبنا إلى خطوط العام ٦٧. إذا ما حدث ذلك فسيكون الوضع أشد خطورة بكثير بالنسبة لنا.

ماركوزا: ولكن إذا لم تنسحبوا، ألن يكون هناك دافع عربي للحرب؟!

وزير الدفاع: أنت أيضاً اعترفت قبل قليل بأننا لم نقترف أي ذنب في العام ٦٧، ومع ذلك فقد فعلوا ما فعلوا. أغلقوا المضائق التي تشكل المنفذ الوحيد لكل ما نستورده من نفط. ماركوزا: ما الذي سعى إليه ناصر من وراء ذلك؟!

وزير الدفاع: أفترض أنه اعتقد بأنه سينجح في ذلك. لقد انتشى بقدرة جيشه، واعتقد أن من واجبه القيام بذلك، مؤمناً بقدرة جيشه، وأنه لن يحدث أي تدخل خارجي ضده من جانب القوى العظمى، أملاً بطبيعة الحال بإنهاء كل شيء في غضون ساعتين.

- ان مفتاح الحل يكمن، حسب وجهة نظري، في إحداث تغيير في دافعية العرب وليس في مفاوضات حول حدود. لذلك أنا مسرور جداً مما يحدث مع سكان المناطق.

ماركوزا: بدون إجراء مفاوضات في الوقت الحالي، ستكونون مرغمين على الإبقاء على استنفار عسكري إلى ما لا نهاية؟!

وزير الدفاع: أنا مؤمن بأن المفاوضات سوف تبدأ. ليس في الغد، وإنما في المستقبل على الأرجح. لن نتوصل فوراً إلى حلول وإجابات كاملة، ولكن يمكن الانتقال من مسار وسباق العمل العسكري إلى مسار العمل السياسي. - اعتقد أنه إذا أعلننا بأننا «غير مستعدين لأي انسحاب» فلن تكون هناك عندئذٍ أي مفاوضات. ولكن إذا قلنا «انسحاب-نعم»، تعالوا نتباحث حول ماهية الانسحاب وكيف، إلخ.. فسوف تكون هناك فرصة لذلك.

- مع اننا لا نطالبهم بأن يغيروا مسبقاً موقفهم بشأن المطالبة بانسحاب شامل من جانبنا.

بعد مرور ستة أعوام، أفضت هذه الحرب الضارية في نهاية المطاف، إلى إبرام معاهدة سلام بين إسرائيل ومصر، فتحت بموجبها قناة السويس (أمام الملاحة الإسرائيلية) وانسحبت إسرائيل من كل شبر أرض مصرية في سيناء، وتحويل شبه جزيرة سيناء إلى منطقة منزوعة من الأسلحة الثقيلة والفرق العسكرية الكبيرة، ووضعها تحت مراقبة قوة عسكرية متعددة الجنسيات، وكل ذلك خلافاً للمبادئ التي أصر عليها ديان بشدة قبل حرب «يوم الغفران»، والتي عبر عنها بشكل واضح في حديثه مع ماركوزا. وكان الاختراق السياسي المهم، الذي أتاح في نهاية المطاف التوقيع على اتفاقيات السلام مع مصر، قد أحرز خلال لقاء سري عقد بين موشيه ديان، الذي أشغل وقتئذٍ منصب وزير الخارجية في حكومة مناحيم بيغن، وبين د. حسن التهامي، نائب رئيس الحكومة المصرية، والموفد الدبلوماسي للرئيس أنور السادات. وقد عقد اللقاء في المغرب برعاية الملك الحسن الثاني، في ١٦ أيلول ١٩٧٧. لعل ديان كفر بذلك، ولو قليلاً، عن موقفه الراقض للسلام طوال الفترة بين حرب «الأيام الستة» (١٩٦٧) وحرب «يوم الغفران» (١٩٧٣). أما ماركوزا، فقد حظي في العام الأخير من حياته بسماع خبر معاهدة السلام التي أبرمت بين إسرائيل ومصر، في حديقة «البيت الأبيض» في ٢٦ آذار ١٩٧٩. ويمكن الافتراض أنه بارك الخطوة الكبيرة التي جرت تمهيداً للتوصل إلى تسوية سلمية شاملة للنزاع العربي-الإسرائيلي، حتى وإن كانت هذه الخطوة جزئية ومنقوصة. وقد دفع أنور السادات حياته ثمناً لهذا الاتفاق، حيث قتل في السادس من تشرين الأول ١٩٨١، أثناء مشاهدته استعراضاً عسكرياً أقيم في ذكرى «حرب أكتوبر» على أيدي جنود شاركوا في الاستعراض تحت قيادة ضابط صغير، اسمه خالد الإسلامبولي، عضو جماعة «الجهاد الإسلامي مصري».

وكان الفيلسوف ماركوزا قد عبر قبل ذلك بنحو عشرة أعوام، عن خشيته من أن الرئيس المصري سوف يقتل إذا ما وافق على التوقيع على أي اتفاق جزئي، فرد عليه ديان قائلاً، وربما بغرور وغطرسة: «إذا انتظر وأعطى فرصة للمفاوضات، لن يحدث له شيء». في نهاية المطاف، قتل السادات على الرغم من حصوله على سلام شامل، ضمن استعادة مصر لكل ما «أخذ بالقوة» (حسب تعبير عبد الناصر)، حتى آخر شبر من أرض إن مناقشة المغزى القاسي والمهم لاغتيال السادات تخرج عن نطاق تأمل بروتوكول الحديث بين ماركوزا وديان، ولكنها- كحال الاستنتاج القاسي من اغتيال اسحق رابين بعد ١٤ عاماً من ذلك الوقت- لا تخرج عن

سياق نقاش الوضع الوجودي لإسرائيل في الشرق الأوسط. «أنا فيلسوف وليس رجل سياسة» قال ماركوزا في مقابلته مع صحيفة «هآرتس». ففي استشراف التاريخ - فيما يتعلق بنشوب حرب قاسية أخرى في ضوء رفض إسرائيل للحوار والتفاوض، وفيما يتعلق بالشروط والتسويات (التنازلات) الضرورية للتوقيع على اتفاق سلام بين إسرائيل ومصر، وفي الخشية على مصير الرئيس المصري في سياق توقيع اتفاق سلام مع إسرائيل - كان الفيلسوف (ماركوزا) محقاً ربما حتى أكثر مما كان يمكن له، هو نفسه، التكهن به في العام ١٩٧١، بينما أخطأ رجل السياسة (ديان).

[مترجم عن العبرية. ترجمة سعيد عياش]

## للمزيد من الاطلاع أنظر

- عوزي بزيمان «مقابلة مع هربرت ماركوزا: على إسرائيل أن تبادر بخطوات تساهم في دفع التسوية» هآرتس، ٢ كانون الثاني ١٩٧٢، ص ١٢.
- داليا غبرائيلي- نوري «مطبخ غولدا: استعارات الحرب كاختصاصات نسائية»، من كلمات المؤتمر السنوي السادس، ٢٠٠٧، وردت في موقع «تأملات في اللغة والمجتمع»، مجلة إلكترونية متعددة المجالات تابعة لـ «الجمعية الإسرائيلية لأبحاث اللغة والمجتمع» WWW.isralangsoc.org/gavriely-nuri2007
- موشيه ديان «علامات على الطريق: السيرة الذاتية» القدس: إصدار «عيدانيم» ١٩٦٧.
- هربرت ماركوزا «جدل حول فيتنام: العالم الثالث والمعارضة في بلدان المتروبولين» داخل: هربرت ماركوزا «نهاية اليوتوبيا» تل أبيب: إصدار «عام عوفيد» ١٩٧٠، ص ١٢٩-١٦٦.
- هربرت ماركوزا «أرائي حول النزاع الإسرائيلي- العربي: يتعين على إسرائيل الموافقة على قيام دولة فلسطينية» هآرتس، ١٩٧٢/٧/٢ ص ١٢
- Peter-Erwin Jansen (ed.) Herbert Marcuse, Nachgeiassene Schriften, Band 4: Die Studentenbewegung und ihre Folgen, springe: zu Klampen! Verlag, 2004.
- Herbert Marcuse, Israel-palastina: Bemerkungen zur Krise in Jahr 1970", in: Peter-Wrwin Jansen (ed.), Herbert Marcuse, Nachgeiassene Schriften, Band 4: Die Studentenbewegung und ihre Folgen, springe: zu Klampen! Verlag, 2004, 144145-
- Herbert Marcuse, The Jerusalem Lectures, in: Douglas Kellner (ed.), Art and Liberation; Collected Papers of Herbert Marcuse, Vol. 4, London and New York: Routledgem2007, 149165-.
- Herbert Marcuse, "Thoughts on Judsism, Israel, etc.", in: Douglas Kellner (ed.), The New Left and the 1960s; Collected Papers of Herbert Marcuse, Vol. 4, London and New York: Routledge, 2005, 179182-.
- Tim B. Muller, Krieger und Gelehrte: Herbert Marcuse und die Denksysteme im Kalten Krieg, Hamburg: Hamburger Edition, 2010